مسرحى قيد الإعتقال

(حوار أجراة الكاتب سليم كتشنر مع مهدى الحسينى عن المسرحيات التى شارك فيها أثناء فترة الإعتقال التى مر بها) الحوار ضمن كتاب لسليم كتشنر قيد النشر بالهيئة المصرية العامة للكتاب باسم (مسرحيون فى الحركة الوطنية)

هو واحد من المسرحيين الذين ذاقوا مرارة السجن والاعتقال والمطاردة لإهتمامهم بهموم الوطن وشئونه وإنخراطهم فى خضم العمل الوطنى . يقول مهدى الحسينى عن تجربة إعتقاله : اعتقلت ليلة رأس السنة فى ١٩٥٩/١/١ ونقلت إلى مبنى مباحث أمن الدولة فى جابر بن حيان ثم نقلت إلى مقر مباحث أمن الدولة بوزارة الداخلية ثم نقلت إلى سجن القلعة زنزانة ٢٨ ثم بعد عدة أشهر نقلت إلى معتقل الواحات الخارجة ثم نقلت بعد ذلك مرة أخرى فى ٩ يونيه ١٩٦٠ إلى سجن القلعة للتحقيق معى ثم نقلت للقلعة ليوم أو يومين ثم ارسلونى إلى معتقل أوردى ليمان أبوزعبل حيث ضربت بشدة لمدة شهر كامل . فى الايام الأولى أعجزنى التعذيب عن الحركة وعن ممارسة حياتى الطبيعية . بعد ذلك تقرر محاكمتى فى الإسكندرية, أنتظرت بسجن القناطر لمدة شهر ثم رحلونى إلى سجن الحضرة

بالإسكندرية حيث مثلت أمام مجلس عسكرى عالى وأستمرت المحاكمة نحو شهرين ثم أعادونى إلى سجن القناطر وفى يوم من الأيام أخذونى وأنزلونى إلى مكتب حيث قرأوا علىّ الحكم وسألونى هل لديك إعتراض فقلت نعم ولكنهم لم يستمعوا إلى . وبعد ذلك تم ترحيلى إلى الواحات الخارجة لمدة طويلة وعند الافراج رحلت إلى سجن مصر ثم إلى قسم الخليفة ومنه إلى قسم مصرالقديمة لأننى كنت أسكن المنيل فى ذلك الحين وأفرج عنى فى ٢/٢٨/ ١٩٦٤ .

سألت مهدى الحسينى عن تاثير هذه التجربة على مسرحه وعلى حياته فقال : بالنسبة لى هذه التجربة كانت إنسانية. بها مناطق غير انسانية ولكن فى مجملها إنسانية عميقة وحقيقية . فبعد أن ادركت أننى وقعت فى الفخ فى قبضة دولة أنا لست موافقاً عليها ومن جانبها ليست موافقة علىّ وأذن القطيعة متبادلة وبالتالى كان علىّ أن أتأقلم . أن اعيش الأيام المتلاحقة المتشابهة واتوائم مع نفسى واتوائم مع أصدقائى القدامى الذين أعرفهم قبل السجن وايضا أتوائم مع الموجودين الذين لم أعرفهم قبل السجن والذى أحس بعضهم إنهم بحاجة إلى الإقتراب منى كما أحسست بأهمية الإقتراب منهم فعقدوا معى صداقات كثيرة متنوعة أثرت هذه الصداقات تجربتى .

وعن تجربة مسرح الواحات التى لم يلتفت إليها أحد من الباحثين سألته فقال : لحسن حظى كان معنا فى الواحات عدد من الكتاب والفنانين القدامى . منهم الفنان الكبير حسن فؤاد

الذى كون فرقة مسرحية أنتجت عروضاً . أنا مختلف معه سياسياً فهو من جماعة «حدتو» ولكن فى التعامل الإنسانى والشخصى اليومى وخصوصاً أن حسن فؤاد شخص دمث ولطيف وواسع الأفق . بدأوا ينتجوا بعض العروض المسرحية كان هدفها أن يوضحوا أن تيارهم هو التيار المنفتح والذى يعمل لكنهم لم يستطيعوا العمل وحدهم فاستعانوا بالكثيرين من التيارات الأخرى منهم رؤوف حلمى السيناريست المعروف الذى لعب دور «ليدى ماكبث» كما ينبغى فمازلت أتذكر صدى صوته وهو يقول : » يا أمير كودر» إذ يزكى الطموح الدموى عند ماكبث . وكان معنا شاب ضخم الجثة من أصول ريفية اسمه « فتحى السجان» يعمل الآن كممثل فى المسلسلات التليفزيونية أشترك فى هذا العمل . لا أستطيع أن أنكر الحس الفنى الرفيع لحسن فؤاد ولا الكاتب الراحل صلاح حافظ الذى أسهم فى هذا المسرح ونفذوا له مسرحية «الخبر» أخرجها حسن فؤاد ثم نفذوا عيلة الدوغرى وحسن فؤاد قام بدور سيد الدوغرى بشكل رائع . إن سيد الدوغرى به منطقة روحية نجح فى تصويرها حسن فؤاد وأغفلها الفنان الكبير الذى لعب الدور نفسه فى المسرح الإحترافى . طبعا أزاء الشخصيات النسائية كان هناك زملاء يقومون بهذه الأدوار وخاصة زينب الدوغرى الذاكرة لا تحضرنى لكن مثلاً فى حلاق بغداد لألفريد فرج لعب « فخرى مكارى» القبطى الصعيدى الشيوعى دور أبو الفضول بشكل مازلت أتذكر كلمته الأثيرة «حتى أعرف» لن انساها أبدا . كما نفذوا عيلة الدوغرى وماكبث لكن كان إسهامى فى

أوبريت «مجنون ليلى» كان معنا محامى من المنصورة اسمه « أحمدفرج « اسمر وملامحه عربية وكان يرتدى جاكت السجن الأصفر فيبدو بدوياً بنظراته الحادة قام هذا الرجل بدور « قيس» وقام الفنان «سعيد عارف» بعمل الماكياج والملابس . وكان معنا زميل كان فى الاصل ضابط جيش ويبدو أنه من أصول شركسية اسمه «محمود المانسترلى» . كان معه بطانية لونها فيروزى فأخذها سعيد عارف منه ورسم لى حواجبى و بالميكروكروم رسم شفايفى وحرق عيدان الكبريت لرسم شكل العين النسائية وقمت بدور «ليلى» وهذه المعلومة لأول مرة أفصح عنها . قمت بدور ليلى وقام بغناء ليلى من الكواليس «حسنى تمام كيلانى» المترجم المعروف . كما قمنا بعمل لوحة هى لوحة فنون شعبية بلغة المبتذلة الدارجة . تعبر اللوحة عن جموعنا ونحن نعمل فى الجبل نحمل غلقاناً وفؤوس ونتعرض لقرص العقارب والثعابين وكان أحد حراسنا والمتعاطفين معنا نقيب « نصر جرجس» فشاهد هذه البروفات فأوقفها . ليس مستغلاً سلطته لكن لعدم إحتماله رؤيتها قال : ياجماعه حرام عليكم . «نصر جرجس» الإنسان هذا الضابط المكلف بتعذيبنا كان أكثر إنسانية من رئيس الجمهورية وحتى من رئيس الأمم المتحدة . أنه بنى آدم محنرم وأستثنائى, لكنه قال : يا جماعه دى قاسية وكنا قد رتبنا مزيكا وكورال من الكواليس . . الخ . قمت بدور ليلى وقام « أحمد فرج» بدور المجنون بعد أن ألتفحت بالبطانية الفيروزى لأعطى أحساس ليلى التى لم تكن جميلة على أية حال . المهم ظهرت موجة مهمة جداً هى

«يللا بينا نبنى مسرح» كتب عنها المهندس فوزى حبشى فى مذكراته . وبجوار هذا البناء بنوا جامع وانا رأيى أن هذا نوع من المصالحة ليست عادلة لأننا مسجونون بواسطة دولة تدعى وتزعم الإسلام وتستخدمه فى حبسك وفى إصدار قوانين ضدك . والدليل أن الأخوان المسلمين كانوا معنا ولم يشتركوا فى بناء الجامع, على العكس تفرجوا علينا ونحن نفنى صحتنا فى ضرب مئات الألاف من قوالب الطوب من أجل بناء الجامع, لماذا ؟ الاخوان كانوا يصلون على البورش, لماذا نبنى جامعاً ؟ ألأننا متهمين بالالحاد ؟ هذا سخيف جداً . إنما ما حدث أننا بنينا مسرحاً من تصميم المهندس فوزى حبشى بمعاونة أراء آخرين مستنيرين . أيضا كان هناك عرض لأتنين من السوابق عرض « مايم» كان رائعاً وكتبت عنه . وكانت هناك ليالى غناء متكررة وكان الفنان المفضل لدينا سيد درويش وقد تعرفت على ألحان كثيرة له اكتشفت بعد ذلك أن المحترفين لا يعرفونها منها لحن يبدأ : عذارى هدى تعود لن تجود عليهم الحياة . يا حياة العلو والجمال . يا هدى جه أوان الوصال .

تحدث مهدى الحسينى عن ظواهر فنية عديدة بخلاف المسرح مارسوها سوياً فى الواحات ولكننى سألته : هل النشاط السياسى والمسرح مرتبطان عندكم إلى درجة لايمكن الفصل بينهما ؟ فأجاب : نعم . ثلاثين عاماً من الصراع الذى خضته وأنا أقف كالصنم لم يستطيعوا إزاحتى للخلف فمررت أعمال مهمة كالكل فى واحد ومولد يا سيد ومنذ تخرجى عام ٦٨ من المعهد العالى للفنون المسرحية لا يذكر أننى تقاعست

عـن المواجهـة أو أنعزلـت . إننـى اسـعى دائمـا للمواجهـة وخلـق اشـكال جديـدة للنضـال .

وسـألته عما إذا كان واجه حصاراً على بعض تجاربه المسـرحية ؟ قـال : ظللـت لثلاثـين عاما شـبه مصـادر . جهاز الثقافـة الجماهيرية محكـوم أمنيـاً وفـى الفـترة التـى كنـت أنشـط فيهـا كانـت نظريـة الإسـتعانة بأهـل الثقـة لا أهـل الخـبرة مهيمنـة وبالتـالى لـن يدعنـى أحـد أن أمـر . يعرفـون قدراتـى جيـداً ولا يسـتعين بـى أحـد . لقـد ترجمـت نـص ميللـر « وفـاة منـدوب مبيعـات» ترجمـة جديـدة تعتمـد علـى إيقـاع المثـل وإيقـاع الحـدث وإيقـاع السـينوغرافيا أيـن أذهـب بهـا لأنشـرها ؟ أنـا الوحيـد الـذى يعـرف كتابـة « ليبرتّـو» للرقـص وكتبـت « ليبرتّـو» عـن أبوالهـول ايـن أذهـب بـه ليخـرج للنـور ؟ قالـوا بعـد ثـورة ٢٥ ينايـر كل المسـتبعدين سـيعودون وكل المظـالم إنتهـت . انـا مازلـت مسـتبعد . إسـتبعدتنى عصابـات حسـنى مبـارك ورجالـه فـى الثقافـة ومازلـت مسـتبعداً حتـى الآن .

كانـت إجابـة مهـدى الحسـينى مغلفـة بالمـرارة فحاولـت الخروج منهـا بسـؤال آخـر عـن الإلتـزام الحزبـى وإذا مـا كان يشـكل قيـدا ً علـى الفكـر وكيـف يتعامـل مـع هـذه الحالـة ؟ فقـال : الماركسـية ليسـت مصحفـاً أو أنجيـلاً ولا هـى خطـة عمـل مغلقـة وحديديـة . الماركسـية سـبعة ألاف ماركسـية . لـكل شـخص ماركسـيته فـإذا كانـت تعنـى العدالـة عليـك أن تنفـذ العدالـة واذا كانـت تعنـى الإنفتـاح علـى الفكـر الإنسـانى عليـك أن تنفتـح على الفكر الإنسـانى . أخـذت الفـن مـن الشـارع ومـن الحيـاة اليوميـة فلـن تجعلنـى

الماركسية أرتدى نظارة ماركسية أرى بها الدنيا. إن مدعى الماركسية لم ينجحوا حين تمسكوا بماركسيتهم . الفنان كائن حر والواقع متغير وإذا لم يتفاعل مع الواقع وتبنى الدفاع عن رقى الذوق وعن الجمهور وعن حقوق الناس بالتمتع بالحياة لن ينجح . الموضوع هو الالتزام بالفن وليس الالتزام الحزبى . إذا كنت تقدم فنا لإهل كريت قدم فنا يصلح لاهل كريت وإذا كنت تقدم فناً لأهل الاباجية قدم فنا يصلح لاهل الاباجية . الثقافة الإنسانية مليئة بمئات المصادر للجمال . فتجد الراقص «نيجينسكى» مثلاً عندما أراد أن يحتج على الحرب العالمية الأولى صمم رقصة أزعجت المشاهدين إذ مشى على الارض بطريقة غريبة وفى نهايتها قال لهم « أعتذر لقد كنت أسير فوق أكوام الجماجم الناجمة عما قمتم به فى حربكم « .

و أخيرا توجهت للرجل بسؤال ختامى حول إختياره لطريقه وعما إذا كان يشعر بالندم فقال : لا موجب للندم وأنا اخترت طريقى بوعى فعندما كنت فى الحادية عشر من عمرى خرجت فى مظاهرة من السعيدية الثانوية تهتف بحياة « فرحات حشاد» وفرحات حشاد هذا رئيس إتحاد الشغل فى تونس حينذاك والذى إعتقله الفرنسيون . فمشيت فى المظاهرة وأنا اهتف لشخص لا اعرفه لمجرد أنه مسجون . بعد ذلك فى مارس ١٩٥٤ مشيت فى مظاهرة مع المدرسة السعيدية وطلبة الجامعة عبرت كوبرى الجلاء ووصلنا إلى كوبرى قصر النيل وعند الأسدين وجدنا تشكيلات تحمل مدافع ووجدنا كمائن متربصة لمن ؟ لطلبة ٥ مارس٥٤ علامة فى التاريخ بالنسبة لى

لا تنسى وحد فاصل وطلاق بائن بينى وبين النظم العسكرية.. ثم أضاف : طوال حياتى أرفض المساومة فقد حاول البعض من اقاربى الذين يحتلون مواقع مهمة فى السلطة إستمالتى لأغير طريقى لكننى رفضت بل وقاطعتهم .